

أندريه معلولي: نستطيع نقل ثقافتنا الموسيقية إلى العالمية

دار الأوبرا السورية تسعى إلى ترسيخ ثقافة موسيقية منفتحة على العالم



سيصبح بإمكان الغرب عزف الموسيقى العربية

بتأسيس لجنة له وذلك للبحث في وضع التراث الموسيقي السوري وتسجيله، خاصة بعد أن لاحظنا التقصير الكبير بحق ذلك التراث".

أما عن برنامج العروض الفنية القادمة فيؤكد أندريه معلولي أن الدار على موعد قريب مع الموزع والموسيقي اللبناني ميشيل فاضل والمطربة اللبنانية عبيد نعمة، وأنه من المتوقع أن يكون حاضرا في شهر نوفمبر من هذا العام الموسيقار المصري عمر خيرت وفرقة، بالإضافة إلى حفل تم الاتفاق عليه مع الفنانة السورية ميادة حناوي، كما أنه ومع نهاية العام سيحضر خمسة مغنين أوبرا من باريس، وسيقام حفل خاص.

التدريب على كيفية التعامل مع هذا المكان وأدبياته بالإضافة إلى إمكانية حضور البعض من عروض الأوركسترا واكتشاف الآلات الموسيقية بشكل حي، وذلك على اعتبار أن كل طفل من هؤلاء الأطفال هو مشروع عائلة في المستقبل وزبائره للأوبرا مرتين في العام إلى حين يصبح شابا ناضجا ستؤمله لتدريب أولاده على تلك الطقوس، لنحصل لاحقا على مجتمع متقف موسيقيا يمكنه أن يتذوق الفنون بالشكل الصحيح، وهو أمر سينعكس بالتالي على مجمل الحياة مستقبلا، وستنلس نتائج هذا المشروع متاخرا لأنه من المشاريع المديدة، بالإضافة إلى مشروع توثيق التراث السوري الذي بدأنا

فغاية المهرجان الأساسية هي التواصل بين عدة مدارس وأفكار وشخصيات موسيقية لتبادل الخبرات".

مشاريع قادمة

حرصا من الدار على رفع الذائقة الجماهيرية والحفاظ على التراث ثبتت مشروعين، الأول متعلق بتوثيق التراث الموسيقي السوري والثاني مشروع توعوي لأطفال المدارس بالتعاون مع وزارة التربية لزيارة الأوبرا صباحا. عن المشروعين يقول معلولي "الهدف من المشروعين المتعلق بالأطفال، ليس فقط التعرف على مبنى الأوبرا كحجارة، بل

سوريا كما في كل دول العالم وخاصة الأوبرا ليس الريح بل نشر الثقافة ولو بشكل شبه مجاني، والدولة حريصة على تقديم الثقافة للجميع، بحيث لا تبقى حكرة على طبقة اجتماعية معينة، ودار الأوبرا حين تنتج حفلا لنجم تتيح حضوره بأسعار رمزية، وهذه الأسعار على رمزيتها وجدت فقط لإشعار الآخر بأنه يساهم ولو بالقليل في هذه الدار، وليشعر بالقيمة الذاتية لنفسه".

وبالنسبة إلى مهرجان الموسيقى العربية الذي كانت مقررة إقامته في نهاية شهر أغسطس والذي توقف، يؤكد معلولي أن هذا التوقف جاء نتيجة لرغبة الدار في تقديم المهرجان بصيغة مغايرة عن المعتاد بحيث لا يكتفي بأن يكون مهرجانا للموسيقى الشعبية والفرق الشعبية، بل على العكس من ذلك عليه أن يكون مهرجانا موسيقيا عربيا مخصصا للموسيقى العربية الصالحة للتقديم في الأوبرا.

يشير أندريه معلولي إلى أن المعهد العالي للموسيقى في دمشق قد تميز عن غيره من معاهد الموسيقى في الوطن العربي في كون الخريج يتقن علوم الموسيقى العالمية والعربية في آن معا، مضيفا "لدينا حاليا بالإضافة إلى الفرقة السمفونية الأوركسترا، فرقة الأوركسترا الوطنية للموسيقى العربية التي تهتم بتقديم الموسيقى العربية التي تعنى بتقديم الموسيقى العربية بشكل أكاديمي موزع أوركسترايا بشكل صحيح، بينما وعلى سبيل المثال في مصر لديهم الكونسرفتوار ومعهد الموسيقى العربية وعلى المدارس أن يختار، فعازف البيانو يدرس مقامات شرقية، وعازف العود يدرس هارموني التوزيع، بهذه الطريقة يمكننا إسقاط علوم الموسيقى العالمية على تطوير موسيقانا العربية، كما يفعل الموسيقي المصري عمر خيرت".

ويتابع "لدينا اليوم موسيقون عرب يكتبون موسيقى أوركستراية عربية وتقدم في الغرب، ليس هذا فحسب بل إن البعض من الأغاني يعاد توزيعها وليس تشويهها كما يفعل البعض، بهذه الطريقة نستطيع نقل ثقافتنا الموسيقية إلى العالمية بحيث لا تبقى حكرة علينا، وسيصبح بإمكان الغرب عزف موسيقانا حين نتمكن من كتابتها، كما نعزف نحن الموسيقي الكلاسيكية العالمية لموزرات وباخ وشوبان وغيرهم، وبالتالي نستطيع نقل ثقافتنا إلى الخارج وسيصبح لنا وجود ومن الممكن عبر تلك الموسيقى اكتشاف شخصية وفكر البلد، ودار الأوبرا حاليا مهمتها رفع الذائقة الموسيقية الخبوية لدى الجمهور السوري من خلال العروض الأكاديمية،

على الرغم من الظروف التي مرت بها سوريا بشكل عام والتي كان لها الأثر البالغ على كل مناحي الحياة بما فيها الثقافية، ورغم محاولة تفريغ دار الأوبرا السورية من محتواها عبر استقطاب العشرات وربما المئات من العازفين والمغنين السوريين الذين عملوا بالأوبرا بعد تخرجهم من المعهد العالي للموسيقى بدمشق وتعلمهم على أيدي أهم الخبراء السوريين والأجانب، بقيت دار الأوبرا صامدة تجاه ما استطاعت للحفاظ على وجودها. في هذا الإطار التقت العرب أندريه معلولي، عميد المعهد العالي للموسيقى سابقا والمدير العام حاليا لدار الأسد للثقافة والفنون (الأوبرا) حول الدار وجدديها.

وليس الفردي لما يحمله من مصداقية واستمرارية، أسستنا لجنة للبرمجة والمشاهدة تتكون من أهم الشخصيات الموسيقية الموجودة حاليا في سوريا، لا يتم قبول أي عرض فني في الدار إلا بعد العودة إليها وأخذ موافقتها".

الثقافة والموسيقى

الملاحظ مؤخرا الإقبال الكبير من الفنانين العرب على إحياء البعض من حفلات الأوبرا، عن ذلك يقول معلولي "تسعى إلى العمل ضمن الظروف المتاحة وفي سبيل ذلك نتواصل مع الأصدقاء الذين يحبون سوريا، وهم كثر في العالم، ولديهم الرغبة في الحضور حتى دون مقابل مالي، ولقد سبق للمعهد العالي للموسيقى أن كانت له تجربة مثيلة حين استعان ببعض الموسيقيين للتدريس عن بعد عبر برنامج سكايب، بعد أن غادرتنا العديد من الأساتذة الروس والسوريين، وذلك كحل تعويضي في مرحلة معينة، ووجدنا الرغبة الكبيرة والتعاون من قبلهم".

ويؤكد أن دار الأوبرا اليوم تلقى نفس الاستجابة من الفنانين المحبين لها، مشددا على أن جل ما يتمناه هو إعادة الألق للدار، التي أصبحت فعليا بحاجة إلى الكثير من الصيانة، سواء بالنسبة إلى الأجهزة أو للمسارح، وعلى أنه حتى العاملين في الأوبرا يسيرون على خطى أسنانهم الموسيقي الراحل صليحي السوادي الذي أسس الأوبرا والمعهد العالي للموسيقى، صاحب الأيدي البيضاء الذي زرع بذرة الانتماء إلى هذا المكان، "فمن يأتي للأوبرا لا يأتي بدافع المال بقدر ما يأتي بدافع الانتماء، وبهذا المطلق وبتلك المحبة ينجح العمل".

ورغم أن دار الأوبرا تتقاضى مبالغ مالية من الجمهور لقاء فعاليات، إلا أن تلك الأجر لا تتناسب مطلقا مع تكاليف العروض التي تقدم على مسارحها الثلاثة يوميا وعلى مدار السنة، عن تلك الضائقة المالية يقول معلولي "أحيانا لا يكون لدينا المال الكافي لتقديم عرض فني ومع ذلك نقدمه، فهدف الثقافة في

لمى طيارة
كاتبة سورية

دمشق - على مدى سنوات الأزمات السورية لم تتوقف دار الأوبرا السورية يوما عن تنظيم الحفلات الفنية والعروض السينمائية والمسرحية، صحيح أن البعض من تلك العروض وخاصة الموسيقية منها كانت دون المستوى الذي يليق بالدار أو الذي عرف عنها، لكن يبقى هذا الجهد للدار والعاملين عليها جديرا بالوقوف عنده، خاصة وأن الأوبرا مؤخرا باتت تستقطب فنانين عربا لإحياء البعض من حفلاتها.

في حديثه لـ "العرب" عن تجربته كمدير للأوبرا وعن النشاطات والمشاريع القادمة يقول أندريه معلولي "بداية دار الأوبرا تعتبر سفيرة البلد الذي تنتمي إليه ومن خلالها يمكن إرسال رسائل إلى العالم، ولا شك أن لكل مدير رؤية، ولكن هذه الرؤية مرتبطة دائما بالواقع وبالظروف الراهنة، وليس بإمكاننا إسقاط تجربة أي مدير سابق أو حالي أو عقد مقارنة بين مدير وغيره، لأن لكل زمان ومكان إمكانياته التي تحكم عمل مؤسساته".

المعهد العالي للموسيقى
في دمشق يتميز عن
غيره في كون الخريج
يتقن الموسيقى العالمية
والعربية في آن معا

يتابع معلولي "في الأيام السابقة كان محكوما على الدار تقديم أعمال بالموارد المتوافرة لديها بغض النظر أحيانا عن المستوى الفني، ولكننا اليوم أصبحنا بوضع أفضل نسعى من خلاله لتقديم ما يعيد للدار بريقها والهدف الذي بنيت وأسس من أجله، ولهذا السبب ومن مبدأ الإيمان بالعمل الجماعي

سيرة لوحة مغربية

بين الفن الشعبي المغربي والأساليب التشكيلية الغربية الحديثة. وبخلاف التجربة الغربية التي خاضها الجليلي الغرباوي وأحمد الشراقوي، عرفت الستينات والسبعينات انبثاق تجربة الاشتغال الجماعي الذي توطئه أسئلة مشتركة. وارتبطت هذه التجربة أساسا بما يعرف بجماعة 65، التي ضمت بشكل أساس كلا من محمد شبعة ومحمد المليحي وفريد بلكاهاية. وإذا كانت جماعة 65 قد ارتبطت بفضاء المنتصف الثاني من الستينات وسنوات السبعينات، بحمولته

والجيلالي الغرباوي يؤثقان فضاءهما الإبداعي الخاص بكثير من الاختلاف، حيث تعتبر تجربتهما تدشينا للتجريدية التي ستطبع تجارب مغربية أخرى منذ الخمسينات، وذلك بالرغم من وفاتهما المبكرة، فالشراقوي لم يكمل الثالثة والثلاثين من عمره، بينما توفي الغرباوي في الـ 41. وتبدو سيرة أحمد الشراقوي، كنموذج رغم قصر فترتها الزمنية، حافلة بعلاماتها الدالة. وشكلت المحطات معبرا لبحث أحمد الشراقوي عن أسلوبه الخاص الذي يشكل، حسب الأدبيات، نقطة لقاء

الذي استطاع أن ينظم معرضا فريدا بواشنطن خلال الخمسينات من القرن الماضي.

وإلى جانب الأهمية التاريخية لهذه التجارب، فإنها احتفظت بطابع عام يحكمه انتمائها إلى عالم "فطري"، من علاماته الحضور القوي لتفاصيل الحياة اليومية البسيطة والامتدادات الفنون البصرية العريقة بالمغرب. وبشكل مغاير لذلك، شكل تأسيس مدرسة الفنون الجديدة بتطوان سنة 1945 ومدرسة الفنون الجديدة بالدار البيضاء بداية مسار يحتفظ بطابعه المختلف، والذي من علاماته الوعي بأسئلة التشكيل وبعلاقاتها بالمتكون الثقافي والسياسي أحيانا. وهو وعي تميز الأدبيات داخل امتداداته بين مستويين. يتسم الأول بالواقعية الأكاديمية ذات الطابع الإسباني، التي ميزت أسلوب جماعة الشمال والتي من بين روادها محمد السريغيني ومريم أمزيان والفقيه الركراكي وبنيسف، ثم عبد الكريم الوزاني، الذي تتميز أعماله بحمولتها الطفولية العميقة وخليق غريب. بينما يتسم المستوى الثاني "باجتياح رجات رياح الستينات والسبعينات الأيديولوجية والسياسية لمجموعة الدار البيضاء منذ حركة 65"، وهو من الفنانين الذين أنجبتهم مدرسة الدار البيضاء.

وخارج هذه الجغرافيا التشكيلية، كان فنانان آخران هما أحمد الشراقوي

حسن الزوراني
كاتب مغربي

بين معرض الفنان الفطري المغربي محمد بن علي الرباطي، وهو الأول من نوعه لفنان مغربي والذي استضافته إحدى اللغات اللندنية سنة 1916 وآخر عمليات البيع بالمزاد التي صارت تحتضنها صالونات كبرى بالبلد، مستقطبة كبار الأثرياء المهووسين باقتناء اللوحات، وبين وفاة الفنان المغربي الجليلي الغرباوي مشردا بجديقة شان دو مارس، بباريس، خلال بداية السبعينات، وتحقق لوحاته أرقاما قياسية على مستوى الأمتعة. سنوات بعد وفاته، ثمة مسار طويل حافل بعلاماته ومحطاته. استحضار جانب من هذه المحطات ليس بالضرورة كتابة تاريخها.

وتبرز في هذا الإطار التجربة المبكرة للفنان المغربي محمد بن علي الرباطي الذي استطاع تنظيم معرضه الأول المنظم بالعاصمة البريطانية سنة 1916، ثم معرضه الثاني في فرنسا سنة 1919. وخارج هذه التجربة الاستثنائية، سينتظر المغرب عقدا من الزمن ليظهر فنانون آخرون. وتندرج في هذا الإطار تجارب فنانين كعبد السلام بن العربي الفاسي والجيلالي بن شلار ومحمد المنهجي ومولاي أحمد الإدريسي ومحمد بن علا،



فن كانت له تحولاته المبكرة (لوحة للفنان الجليلي الغرباوي)

تجارب تشكيلية مثلت مسارا
طويلا للفن التشكيلي المغربي
بكل تحولاته وتقلباته على غرار
الساحة الثقافية ككل

في هذا الإطار، بشكل خاص، محمد موسيك ومصطفى السنوسي وإبراهيم حنين والمهدي قطبي. وذلك بالإضافة إلى عبدالله الحريري، الذي ستكون أعماله أكثر حضورا على أغلفة الكتب، وخصوصا الصادرة منها عن دار توبقال، التي كان قد أسسها الشاعر المغربي محمد بنيس.

في مقابل ذلك، عرفت سنوات التسعينات وبدايات الألفية الجديدة ظهور أسماء جديدة، مع استمرار الأسماء السابقة وسعي بعضها إلى خوض تجارب مغايرة، بشكل يغني المشهد التشكيلي المغربي باستمرار. يبقى أن الوقوف عند تجارب أو أسماء معينة أو تصنيف الفنانين ضمن تيارات فنية أمر غير يسير، لأن التجارب تخوض سفرا مستمرا، بحثا عن جمالية قد تتحقق أو قد لا تتحقق، في زحمة فضاء الأعمال التي تتجتاح المشهد التشكيلي بالبلد.

الأيديولوجية وصراعاته السياسية، فقد شكلت العقود الاخلاقية لحظات مغايرة، استمست بتراجع نسبي للسياسي. وهو الأمر الذي هم مختلف أشكال التعبير الأدبي والفني بالمغرب. وفي هذا السياق، تبرز تجربة الفنان الراحل محمد القاسمي المطبوعة بشكل عام بتعبيريتها التجريدية والحافلة أيضا ببحثها المستمر عن طرق جديدة للإبداع وعن خلق المفاجأة. كان القاسمي يصنّف جيدا لأصوات التاريخ دون أن يضل حبيسها. يقرأ الأحداث بطريقته دون أن يفعل البطولة. معرضه الأخير "الإبداع ضد التدمير"، المنظم برواق المنار بالدار البيضاء، قبيل وفاته، شهادة عن موقفه الرفض للحرب على العراق.

وبخلاف التجربة التعبيرية التجريدية لمحمد القاسمي، يشكل توظيف الحرف العربي مجالاً لا يستغنى عنه من الفنانين التشكيليين المغاربة. ويميز الناقد المغربي فريد الزاهي بين مستويين لهذا التوظيف. ينحصر الأول في اعتماد الطبع الزخرفي والتناول البصري الهش للظواهر البصرية الحضارية، بشكل يجرد الحرف العربي من قيمته الجمالية المرتبطة برمزيته وبمرجعيتها الحضارية. بينما يقوم المستوى الثاني، الذي يعتبره فريد الزاهي امتدادا لا اشتغال أحمد الشراقوي على العلامات والرموز، لإدخال أبعاد جديدة في التجربة المغربية. ويندرج